التوثيق بالكتاب في نقل الأحاديث

مبحث فى دراسات فى علوم السنة

إعداد / ميسون عقباوى

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

maysoun.akabawy31@gmail.com

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى التوثيق بالكتاب في نقل الأحاديث   
الكلمات المفتاحية – السماع ، الشيخ ، يملى**

**المقدمة.I**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة التوثيق بالكتاب في نقل الأحاديث**

**.عنوان المقال II**

**قد يُظنّ أن عملية السماع أو غيرها لا أهمية للكتاب فيها، ولكن الكتاب لعب دورًا هامًّا في نقل الأحاديث، فقد رأينا من صور السماع إملاء الشيخ على التلاميذ من كتابه، وأن هذا أعلى صور السماع، يقول هارون بن معروف -المتوفى سنة مائتين وإحدى وثلاثين-: قَدِم علينا بعض الشيوخ من الشام، فكنت أولَّ من بكَّر عليه؛ فسألته أن يُملي علي شيئًا، فأخذ الكتاب يُملي، وإذا كان الشيخ يُملي فالتلميذ يدوِّن ما يُمليه من الأحاديث، وقد كانوا يذكرون الإملاء ليتميَّز الراوي عن أقرانه بالصحة والجودة في سماعه؛ سأل عبد الله بن أحمد أباه عن شعيب بن أبي حمزة كيف سماعه من الزهري؟ أليس هو عرض؟ قال: لا؛ حديثه يُشبه حديث الإملاء، هو أصح حديثًا عن الزهري عن يونس، نظرت في كتب شعيب أخرجها إليَّ ابنه؛ فإذا بها من الحسن والصحة والشكل، ونحو هذا.**

**ويقول يحيى بن معين: ثقة في الزهري؛ كتب عن الزهري إملاء، وكان كاتبًا، وكان بعض التلاميذ يأبى إلا أن يُملي عليه الشيخ؛ ليحوز هذه الدرجة العليا من الإتقان، لما قدم ابن جريج البصرة قام معاذ فشغب وقال: لا نكتب إلا إملاء، وسأل عبد الله بن أحمد بن حنبل أباه: نكتب إملاء؟ فقال له أبوه: اكتبوا إملاء.**

**ويقول عفان الذي توفي سنة مائتين وتسع عشرة: ما رضينا من أحد إلا بالإملاء إلا شريكًا، وكان عفان هذا -وهو من أئمة الحديث- يحضّ أصحاب الحديث على الضبط والتقييد إذا أخذوا عنه، وكان يقول لحماد بن سلمة: لا تكتب إلا إملاء، ويقول: ما رضينا من أحد إلا بالإملاء، وإذا كانت الكتابة من أهم وسائل التوثيق، وإذا كان السماع مع الإملاء هما الجديران بنقل الحديث نقلًا موثقًا عند نُقَّاد الحديث، فإن مما يزيدنا اطمئنانًا أن كثرة من الأحاديث نُقلت على هذا الوجه؛ لأنهم كانوا لا يعتبرون المحدث جديرًا بهذا اللقب إلا إذا كتب أحاديث كثيرة.**

**يقول أبو بكر بن أبي شيبة: من لم يكتب عشرين ألف حديث إملاء؛ لم يُعدّ صاحب حديث، وبالنسبة إلى حالات السماع عمومًا فقد استقرَّت عادة المحدثين على أن يكتب التلميذ حديث الشيخ من أصوله، أو من كتب تلاميذه أو أقرانه الذين سمعوا منه، أو قرءوا عليه، ثم يأتي فيسمعه منه، يقول قراد أبو نوح: كنت آتي عبد الله بن عثمان -يعني: صاحب شعبة- فأكتب حديث شعبة، ثم آتي شعبة فأسأله فيحدثني، وقد تلازم السماع والكتابة تلازمًا قويًّا حتى يُعبَّر بأحدهما عن الآخر، فكثيرًا ما كانوا يُطلقون أحدهما على الآخر.**

**سُئل الأوزاعي عن الغلام يكتب الحديث قبل أن يبلغ الحدَّ الذي تجري عليه فيه الأحكام يعني: قبل أن يبلغ، ويفهم الأوزاعي أن المقصود بكتابة الحديث هنا السماع، ولهذا يُجيب إذا ضبط الإملاء؛ جاز سماعه، وإن كان دون العشر، وقد فهم ابن خلاد الرامهرمزي صاحب كتاب (المحدث الفاصل) مثل هذا عندما قال: إن ابن عيينة أخبر أنه كتب عن الزهري وهو ابن خمس عشرة سنة، والحقيقة أن العبارة التي أشار إليها تقول: إن سفيان قال: سمعت منه -أي: الزهري- وأنا ابن خمس عشرة سنة، ولم يذكر الكتابة. وقد عبَّر الإمام أحمد عن الكتابة بالسماع فقال في عبد الرحمن بن عبد الله العمري: ليس بشيء، وقد سمعت أنا منه ثم مزقته. ومعلوم أنه يريد أن يقول: كتبت عنه وسمعت، ولكنه اكتفى بأن يقول: سمعت منه لتلازم الاثنين، وإلا فإن كلمة "مزقته" إنما تتجه إلى الكتاب والكتابة.**

**وقد كان بعض الأئمة يحرص على أن يقرأ الشيخ من كتبه حتى تكون أحاديثه موثقة، فقد مرَّ عبد الله بن المبارك سنة ثمان وستين على محمد بن جابر وهو يُحدّث بمكة، فقال له: حَدِّث يا شيخ من كُتبك، ويحرص بعض الشيوخ على أن يُعين بعض تلاميذه على الكتابة عند الإملاء، يقول الحسن بن عرفة: كنت آتي وكيعًا وكان يملي من حفظه، وكنت بطيء الكتابة؛ فيأخذ يدي في يدي ويقول: هاتِ؛ فكتب لي.**

**فالسماع في حقيقة الأمر إنما هو وسيلة للحصول على كتاب صحيح يدوَّن فيه الحديث تدوينًا موثقًا، ويبقى هذا الكتاب يُسندُ الذاكرة في أداء الحديث: { ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ} [البقرة: 282]، فيتعاونان معًا الذاكرة والكتاب على حفظ حديث رسول الله .**

**فإذا ما تركنا السماع إلى العرض وجدنا الأمر واضحًا؛ لأن التلميذ يقرأ من كتاب قد أعدَّه قبل أن يجلس مع الشيخ؛ ليقرأ عليه، وما عملية القراءة إلا لتصحيح الأخطاء التي قد تكون واقعة أثناء النقل، والاطمئنان إلى أن الأحاديث التي نُقلت إنما هي أحاديث الشيخ لم يروَ فيها بزيادة ولا نقص.**

**المراجع والمصادر**

1. **محمد بن محمد أبو شهبه ، (الوسيط في علوم ومصطلح الحديث) ، طبعة عالم المعرفة، جدة 1983م.**
2. **عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح ، (مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصطلاح) ، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974م.**
3. **نخبة من الباحثين ، (موسوعة علوم الحديث الشريف) ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر 2003م.**
4. **الجزائري، طاهر بن صالح الجزائري ، (توجيه النظر إلى أصول الأثر) ، عناية: عبد الفتاح أبو غدة، دار المعرفة، بيروت 1972م.**
5. **الصالح، صبحي الصالح ، (علوم الحديث ومصطلحه) ، دار العلم للملايين 1969م..**
6. **النهانوي، ظفر أحمد النهانوي ، (قواعد في علوم الحديث) ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية 1984م.**
7. **رفعت فوزي عبد المطلب ، (توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته) ، مكتبة الخانجي – القاهرة 1981م.**
8. **الطحان، محمود الطحان ، (أصول التخريج و دراسة الأسانيد) ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض 1996م.**
9. **البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، (الرحلة في طلب الحديث) ، تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية – بيروت 1975م.**
10. **الخطيب، محمد عجاج الخطيب ، (السنة قبل التدوين) ، دار الفكر 1971م.**
11. **رفعت فوزي عبد المطلب ، (المدخل إلى منهاج المحدثين)**

**، دار السلام – القاهرة 2001م.**

1. **رفعت فوزي عبد المطلب ، ( ابن أبي حاتم الرازي وأثره في علوم الحديث) ، مكتبة الخانجي - القاهرة 1994م.**

**الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، (توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار) ، دار إحياء التراث العربي 1945م.**